الهمز في محتسب ابن جني: دراسة صوتية معاصرة

The *Hamzah* in the Ibn Jinni's *Muḥtasib*: A Contemporary Phonetic Study

Huruf *Hamzah* dalam Karya *Muḥtasib* oleh Ibn Jinnī: Kajian Fonetik Kontemporari

محمد أحمد سامي أبو عيد*

ملخص البحث:

سعت هذه الدراسة إلى معاينة الهمز في كتاب المحتسب لابن جني، وذلك، بالاتكاء على ما أنجزته الصوتيات المعاصرة من نظريات ورؤى، من مثل المقطع اللغوي والأبجدية الصوتية الدولية والتقسيمات الحديثة للأصوات، والفصل بين المنطوق والمكتوب، وعلى ذلك، توزع العمل في الورقات على محاور متوالية، هي: تحقيق الهمز، وحذف الهمز، وتسهيل الهمز. سعت الدراسة لتناول تلك المحاور التقليدية بالتحليل الصوتي المعاصر، لتخلص من ذلك إلى جملة من النتائج العامة، لعل أظهرها: إن كثيراً مما ورد من أمثلة الهمز في المحتسب، تحقيقاً وحذفاً وتسهيلاً، إنما يرتد لأسباب تتعلق بالبنية المقطعية لا الصوتية، على الأغلب، وجاءت التغيرات في البنية المقطعية للهمز لأسباب اقتصادية، تتعلق بطلب السهولة النطقية والجهد الأقل، وبالانتقال من المقطع الأصعب إلى المقطع الأسهل، تساوقاً مع ما تطرحه التوجهات اللسانية الاقتصادية المعاصرة، وإن نظرة الأقدمين لتلك الحالات من التغيرات في الهمز شابهه بعض الإشكال، لأن النحويين والصرفيين الأقدمين نظروا في المكتوب لا المنطوق.

الكلمات المفتاحية: الهمز– ابن جني– المحتسب– الصوتيات– اللغة العربية.

* أستاذ مشارك في اللغويات التطبيقية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

Abstract:
This study intends to examine the *hamzah* in the Ibn Jinni's *al-Muḥtasib* based on the theories and views of modern phonetics from the perspectives of the language syllable, the international phonetical alphabet, the categories of sounds and the difference between the oral and written forms. It is divided into three themes: the pronunciation of *hamzah*, its deletion and simplification. The study discusses these themes with current sound analysis and finds the following conclusions: many of the examples found in the book on the topic of *hamzah* were the results of the structures of the syllable and were not caused by the sound; the changes in the syllable structure of *hamzah* were economically motivated that require simplification of pronunciation and minimum effort; the shifting from difficult syllable to simple syllable is in accordance with the contemporary economical linguistic directions; the views of traditional linguists on those matters were similar with one another since they were looking at the written form and not at the oral.

Keywords: The *hamzah* – Ibn Jinni– *al-Muḥtasib* – Phonetics– Arabic language.

Abstrak:
Makalah ini mengkaji penggunaan huruf *hamzah* dalam karya *al-Muḥtasib* yang ditulis oleh Ibn Jinnī, berdasarkan kepada teori dan pandangan dalam bidang fonetik, seperti suku kata, abjad fonetik sejagat, kategori bunyi dan perbezaan antara tulisan dan lisan. Kajian ini dibahagikan kepada tiga tema iaitu sebutan, pembuangan dan pemudahan huruf *hamzah*. Ia membincangkan tema-tema tersebut dengan menggunakan analisa bunyi semasa. Kajian mendapati bahawa kebanyakan contoh-contoh huruf *hamzah* yang dijumpai dalam karya berkenaan merupakan hasil daripada struktur suku kata, bukan bunyi. Perubahan yang terdapat pada suku kata huruf *hamzah* secara praktiknya memerlukan ia disebut dengan mudah tanpa menggunakan usaha yang tinggi serta memerlukan pemindahan daripada suku kata sukar kepada suku kata mudah menurut pendekatan linguistik ekonomi kontemporari. Pandangan ahli linguistik tradisional mengenai perubahan yang berlaku terhadap huruf *hamzah* adalah sama antara satu sama lain kerana mereka hanya melihat kepada tulisan, bukan lisan.

Kata Kunci: Huruf *Hamzah*- Ibn Jinnī- *al-Muḥtasib*- Fonologi- Bahasa Arab.

مقدمة:

تسعى هذه الدراسة إلى معاينة "الهمز"، كما ورد في كتاب **المحتسب** لابن جني، وهي إذ تسعى لذلك، فهي تستعين بما توصلت إليه الدراسات الصوتية المعاصرة من منجزات، وعلى ذلك يكون التحليل الصوتي المعاصر قطب الرحى في هذه الدراسة، ومن جانب آخر، فإن العمل ثمة سيتوزع على محاور متوالية، وهي تباعاً: تحقيق الهمز، وحذف الهمز، وتسهيل الهمز.

مع التنبيه إلى أن تناول المحاور هذه، إنما يأتي وفقاً لما جاء به ابن جني في كتاب المحتسب، وهو تناول للهمز كما ورد في القراءات القرآنية الشاذة.

تحقيق الهمز:

وقد أورد أبو الفتح على ذاك أمثلة من القراءات القرآنية الشاذة، هي:[1]

-قراءة الحسن وعمر بن عبيد "ولا جأن".

-قراءة أيوب السختياني "ولا الضألين".

هذا، ويفسر ابن جني ما وقع من تحقيق للهمز في هاتين القراءتين على أنه ميل من اللغة للتخلص من التقاء الساكنين،[2] والساكنان وفق ابن جني، هما الألف والنون في القراءة الأولى "ولا جان"، والألف واللام في القراءة الثانية: "ولا الضالين".

إن ما أتى به أبو الفتح من تحليل في هذا الموضع، إنما هو نتاج النظر في المكتوب لا المنطوق، وهو، أي ابن جني، يتوافق في ذلك والرؤية التقليدية عامةً، تلك الرؤية التي تنظر في المكتوب بوصفه اللغة، وعليه راح تحليلها للغة يتجه لأن يكون تحليلاً للكتابة.

إن ما هو معروف ومتداول أن تمثيل الحركات الطويلة: الألف والواو والياء "حروف المد واللين"، وكذلك تمثيل الأصوات أشباه الحركات: الواو والياء "حرفا اللين"، قد جاء في الأبجدية العربية تمثيلاً كاملاً، وبالتوازي مع تمثيل الأبجدية للأصوات الصوامت؛ وهو ما قاد اللغويين العرب، بالضرورة، إلى النظر للحركات الطويلة على أنها تشبه الصوامت.

وهذه الدراسة الصوتية المعاصرة لها وجهة نظر أخرى إزاء ما يجري في هذا الموضع، وتتلخص هذه الرؤية فيما هو آت:

- مثلت الكتابة العربية الحركات الطويلة وأشباه الحركات برسوم مستقلة موازية لرسوم الصوامت، في حين أن الكتابة ذاتها لم تمثل الحركات القصيرة بأي رسوم مماثلة لرسوم الحركات الطويلة وأشباه الحركات، بل مثلت تلك الحركات القصيرة برسوم تظهر فوق الرسم المكتوب أو تحته.
- إن هذا التمثيل للحركات الطويلة على هذا النحو، دفع الأقدمين للنظر إلى تلك الحركات على أنها كالصوامت تقبل الحركة أو التسكين: "غياب الحركة".
- إن واقع هذه الأصوات الحركات الطويلة لا يمكن التعامل معه، كما يجري التعامل مع الصوامت، فالحركة لا تقبل الحركة وهي لا تقبل التسكين، فكيف للحركة أن تتحرك أو تسكن.
- على ذلك، ليس التقاء الألف والنون في "جان" أو الألف واللام في "ضالين"، التقاءً للساكنين، كما وصفه ابن جني، بل هو التقاء للفتحة الطويلة بالصامتين: / ن/ و/ ل/.
- إن ما دفع الناطق اللغوي إلى تحقيق الهمز في هذا الموضع ليس التخلص من التقاء الساكنين، فلا التقاء، أصلاً، لأي ساكنين في الموضع.
- إن التحليل الصوتي المعاصر، واتكاءً على الكتابة الصوتية، يظهر الأمر على خلاف ما جاء به ابن جني:

فالكلمة "جان" صارت: "جأن"، وبالتمثيل الصوتي:

$$Jaan \rightarrow Ja^{\partial}an$$

وعلى ذلك، فإن وظيفة الهمز في هذه الكلمة تمثلت في نقل الكلمة من التكون من مقطع واحد مديد مغلق: جان: س ح ح س إلى مقطعين:

- س ح: "جَ"
- س ح س: "أن"

وهو، أي: المقطع المديد المغلق، ما تسعى اللغة في مواضع كثيرة أخرى للتخلص منه.[٣]

أما في "الضألين"، فكان التحول على ذات النحو:

$$đaaliin \rightarrow đa\partial aliin$$

فالكلمة: "ضالين"، تتكون من مقطعين طويلين مغلقين، هما: "ضالْ"، "daal"؛ و"لين"، "Liin".

đaal / liin

س ح ح س / س ح ح س

وعليه، مال الناطق اللغوي للتخلص من توالي هذين المقطعين المغلقين، بتجزيء الكلمة إلى ثلاثة مقاطع في "ضَأَلين"، هما مقطع قصير مفتوح ومقطع قصير مغلق ومقطع طويل مغلق، على النحو الآتي:

ضَ : س ح

أَل : س ح س

لين : س ح ح س

إن ما جرى في هاتين القراءتين الشاذتين من تحقيق للهمز، لا يختلف بحال عما جرى من تحقيق للهمز في القراءات القرآنية غير الشاذة، ومن ذلك ما جاء في قراءة ابن كثير.[٤]

- وكشفت عن سأقيها.
- ومن ذلك قراءة أهل المدينة:[٥] "معائش".
- وقراءة الكسائي:[٦] "أئمة".

أما قراءة ابن كثير: "وكشفت عن سأقيها"، فليس ثمة التقاء للساكنين في القراءة الأصلية: "وكشفت عن ساقيها"، ليتم التخلص منه، ولكن التخلص جاء من توالٍ لمقاطع "سا" س ح ح و قي" س ح س و "ها" س ح ح، لتصير الكلمة على توالٍ آخر للمقاطع: "سَ" س ح و "أَ" س ح و "قي" س ح س و"ها" س ح ح.

إن ما لجأ إليه الناطق اللغوي، ثمة، تمثل في تكثير المقاطع المكونة للكلمة، وهو في "سأقيها" حقق أربعة مقاطع بدلاً من ثلاثة في "ساقيها". وقد يُسوَّغ ذلك بأنه لجوء من اللغة نحو الاقتصاد في الجهد وهروب من الصعوبة للسهولة، كما تقرر ذلك مباحث اللسانيات الاقتصادية، ولعل الاقتصاد في الجهد تمثَّل في التخلص من توالٍ لمقاطع أصعب، والانتقال لتوال آخر لمقاطع أكثر سهولة، ولو كان ذلك بغض الطرف عن الزيادة في عدد تلك المقاطع.

أما ما جرى في "معائش"، فهو يختلف عما جرى في ما يناظرها من تحقيقات للهمز؛ إذ إن ما جرى هو إبدال، استبدل الناطق اللغوي فيه الهمزة بالياء شبه الحركة، وذلك وفق ما تكشف عنه الكتابة الصوتية:

$$\underset{y}{ma^{\lceil}aayiS} \rightarrow \underset{\partial}{ma^{\lceil}aa\partial iS}$$

ومثله ما جرى من تحقيق في "أئمة":

$$\underset{y}{\partial ayimma} \rightarrow \underset{\partial}{\partial a\partial imma}$$

ولعل مما جاء من شواهد شعرية يتفق فيها التحقيق للهمز والقراءتين الشاذتين: "الضألين" و"جأن"، قوله:[٧]

- إذا ما الغوالي بالعبيط احمأرت.

يريد: احمارت، ومن ذلك قوله:

ولـــلأرض أمـــا ســـوادها فتجللـــت بياضـــاً وأمـــا بيضـــها فاســـوأدَّت[٨]

ومنه ما أُنشد:

يـــا عجبـــاً لقـــد رأيـــت عجبـــاً

حمـــــار قبَّـــــان يســـــوق أرنبـــــا

خاطمهـــــا زأمهـــــا أن تـــــذهبا[٩]

ومنه ما قال دكين:

وجلـــه حـــتى ابيـــأضَّ ملبيـــه[١٠]

ومن ذلك، قول جرير:

لَحُـــبُّ المؤقـــدان إلى مؤســـى[١١]

ألا ترى أن ضمة الميم في "الموقدان" و"موسى"، لما جاورت الواو الساكنة صارت كأنها فيها، والواو إذا انضمت ضماً لازماً همزت.[١٢]

ومنه ما قال الطرماح:

مزائـــد خرقـــاء اليـــدين مســـبغة[١٣]

وصوابها: مزايد.

ومنه ما أنشد الفراء:

يـــا دار مـــيَّ بـــدكاديك البُـــرَق

صبراً فقد هيجت شوق المشتئق[١٤]

يريد: المشتاق.

وقد أنشدوا:

فإنك لا تدري متى الموت جائيءُ

إليـك ولا مـا يحـدث الله في غـد[١٥]

وكان ابن جني علّق على هذا الشاهد بقوله: (وفيما جاء من هذه الأحرف دليل على صحة ما يقوله النحويون دون الخليل من أن هذه الكلم غير مقلوبة، وأنه قد كانت التقت فيها الهمزتان على ما ذهبوا إليه، لا ما رآه هو).[١٦]

ومما ورد في كلام العرب ونراه يتوافق مع القراءتين الشاذتين من تحقيق الهمز قولهم: (رأيت رَجُلأ)،[١٧] فهذه الهمزة بدل من الألف في الوقف في لغة من وقف بالألف، لا في لغته هو، لأن من لغته هو أن يقف بالهمزة، أفلا تراه كيف راعى لغة غيره فأبدل من الألف همزة.[١٨]

والحق أن ما جرى في "رجلا" في الوقف تكشف عنه الكتابة الصوتية على النحو الآتي:

$$Rajulaa \rightarrow rajula^{٦}$$

$$aa \rightarrow a^{٦}$$

فقد جرى تقصير الحركة الطويلة "aa" لتكون حركة قصيرة فتحة "a"، وجرى تعويض التقصير أو الاختزال بإضافة الهمزة، ليقفل المقطع الأخير في الكلمة، بمقطع قصير مغلق بدلاً من المقطع المفتوح:

$$Laa \rightarrow la^{٦}$$

س ح ح ← س ح س

حذف الهمز:

وقد أورد عليه ابن جني عدداً من الأمثلة مما شذّ من قراءات، ومن ذلك:

- قراءة الحسن وقتادة: (بين المرِ وزوجيه).[١٩]
- قراءة الأزهري: (بين المرِّ وزوجيه).[٢٠]
- قراءة: (الذي يخرِج الخبَ في السماوات والأرض).[٢١]
- قراءة سالم بن عبد الله بن عمر: (فمن تعجَّلَ في يومين فَلَثَم عليه، ومن تأخَّر فَلَثَم عليه).[٢٢]
- قراءة ابن كثير: (إنها لَحْدى الكُبَر).[٢٣]
- قراءة نافع وأبي جعفر: (أريتك هذا الذي كرَّمتَ علي).[٢٤]
- قراءة الزهري فيما رواه عنه الوقاصي: (إلا خطاً).[٢٥]
- قراءة: (فجاءته حداهما).[٢٦]
- قراءة: (وإذ يَعِدُكم الله آحدى الطائفتين).[٢٧]
- قراءة: (وآتيتم حداهن قنطاراً).[٢٨]
- قراءة ابن محيصن: (من سندسٍ واستبرق).[٢٩]

والحق، أن هذه القراءات الشاذة تحوي ألواناً من الحذوف، ففي قراءة الحسن وقتادة: "بين المرِ وزوجيه" حذف الناطق اللغوي الهمزة /ə/، واستبدل المقطع القصير المفتوح {مَ} س ح، بالمقطع المديد المغلق {مَرْ} س ح س في مبدأ الكلمة، وهو ما تمثله الكتابة الصوتية:

mar^{ə}i → mari

ə → ∅

س ح س + س ح ← س ح + س ح

أما قراءة الأزهري "بين المرِّ وزوجيه":

marəi → marri

ə → r

فقد حذفت القراءة الهمزة، واستبدلت بها الراء، لتحتفظ الكلمة بذات المقاطع بترتيبها المعهود:

mar^{ə}i → marri

س ح س + س ح ← س ح س + س ح

أما قراءة: "الذي يخرج الخب في السماوات والأرض"، فقد حذفت منها الهمزة، وعلى ذلك، تكونت الكلمة من مقطعين قصيرين مفتوحين، بعد أن كانت تتشكل من مقطعين: أولهما مقطع قصير مفتوح، والآخر قصير مغلق.

xaba^{ə} → xaba

ə → ∅

س ح + س ح س ← س ح + س ح

وكذلك جرى الحذف في قراءة "فلَثْمَ"، فقد تعامل الناطق اللغوي مع التركيب "فلا إثم" باعتباره كلمة واحدة، بدليل رسمه على النحو أعلاه، وذلك بحذف الهمزة من الكلمة "إثم"، انظر كيف تمثل الكتابة الصوتية ذلك:

Laa ^{ə}iθma → laθma

a^{ə}i → ∅

إن ما جرى، ثمة، هو اختزال للفتحة الطويلة وحذف للهمزة والكسرة التالية لها، إن ذلك دفع بالكلمة إلى أن تتشكل من مقطعين قصيرين، هما "لَثْ" س ح س، و "مَ" س ح، وذلك بعد أن كانت الكلمة "التركيب" قد تشكلت من ثلاثة مقاطع: "لا" س ح ح، و "إث" س ح س، و"مَ" س ح؛ وبعبارة أخرى، فإن ثمة حذفاً لمقطع كامل من التركيب، وهو المقطع (س ح ح).

وأما ما جرى في قراءة ابن كثير: "إنها لحدى الكُبر" فكان على ذات النحو:

La^{ə}iħdaa → laħdaa

^{ə}i → ∅

س ح + س ح س + س ح ح ← س ح س + س ح ح

وعليه، فقد جرى حذف للمقطع "س ح".

وهو يتوافق وما جرى في قراءة "فجاءته حداهما" من حذف لهمزة القطع في درج الكلام، وكذلك يتوافق وقراءة: "إذ يعدكم الله ٱحدى الطائفتين".

فقد دمجت الكلمتان: "الله، إحدى"، ليُتعامل معهما مقطعياً على أنهما كلمة واحدة. وعليه، يتم الاقتصاد بحذف المقطع "س ح".

$$^{\partial}aL/\ Laa/\ hu/\ ^{\partial}i\hbar/\ daa \rightarrow\ ^{\partial}al/\ laa/\ hu\hbar/\ daa$$

س ح س+ س ح ح+ س ح+ س ح س+ س ح ح ← س ح س+ س ح ح+ س ح س+ س ح+ س ح

ومثله في قراءة "وآتيتم حداهن".

أما قراءة نافع وأبي جعفر "أريتك هذا الذي كرَّمتَ علي"، فأراد من أريتك: أرأيتك:[٣٠]

$$^{\partial}ara^{\partial}aytuka \rightarrow\ ^{\partial}araytuka$$

س ح+ س ح+ س ح س+ س ح+ س ح ← س ح+ س ح س+ س ح + س ح

وعليه، فقد تخلص الناطق اللغوي، ثمة، من مقطع: "س ح" جرياً وراء الاقتصاد في الجهد وتسهيلاً للنطق.

أما قراءة الزهري فيما رواه عنه الوقاصي: "إلا خطأً"، فسارت على ذات النهج من الحذف المقطعي:

$$Xa/\ ta/\ ^{\partial}an \rightarrow\ \ xa/\ tan$$

فقد حذف المقطع: "س ح".

وهو المقطع المحذوف، كرة أخرى، في قراءة ابن محيصن:

- من سندس وٱستبرق

$$Wa\ ^{\partial}is\ tab\ ra\ qin\ \rightarrow\ was\ tab\ ra\ qin$$

س ح+ س ح س+ س ح+ س ح س ← س ح س+ س ح س+ س ح+ س ح س

س ح ← ∅

إن ما تكشف عنه الدراسة في هذا الموضع، أن ثمة عقداً ينظم كل الحذوف التي تكلم عليها ابن جني في القراءات الشاذة، إذ هي جاءت، جميعاً، حذفاً لمقطع، وعلى الأغلب، جاء الحذف للمقطع: "س ح"، مع التنبيه إلى أن الحذف في هذه القراءات إنما هو ضرب من الاقتصاد اللغوي بتقليل الجهد وبطلب للسهولة النطقية، وفق ما تقتضي اللسانيات الاقتصادية.[٣١]

إن ما جاء من حذوف للهمزة في القراءات القرآنية الشاذة، ليتسق وما جاء من حذوف في القراءات الصحيحة، انظر إلى قراءة الكسائي: (بما أُنْزِلِّيكَ)[٣٢] كيف اشتملت على الحذف المقطعي، ووفق ما تمثله الكتابة الصوتية:

ʔun/ zi/ la/ ʔi/ lay/ ka → ʔun/ zil/ lii/ ka

س ح س+ س ح+ س ح+ س ح س+ س ح ← س ح س+ س ح س+ س ح ح+ س ح

ومثل ما جرى في القراءات القرآنية الشاذة، ما سجل من حذوف للهمزة في الشواهد الشعرية، كما في قوله:[٣٣]

- إن لم أقاتل فألبسوني برقعاً

Fa+ ʔal+ bi+ suu+ nii → fal+ bi+ suu+ nii

س ح+ س ح س+ س ح+ س ح ح+ س ح ح ← س ح س+ س ح+ س ح ح+ س ح ح

فالمحذوف، ثمة، وفي كثير من المواضع: هو المقطع: "س ح".

وكذلك يرد المقطع محذوفاً في قوله:[٣٤]

- حتى يقول من رآه قد راه

raʔaahu → raahu

س ح+ س ح ح+ س ح ← س ح ح+ س ح

∅ ← س ح

وهو المقطع "س ح" المحذوف، فيما ورد من شواهد في كلام العرب النثري، كما في قولهم جا يجي:[٣٥]

Jaaʔa → jaa

س ح ح+ س ح ← س ح ح

∅ ← س ح

وكذلك يسجل الحذف المقطعي ذاته في ما ورد عند الرضي الإستراباذي في شرحه للشافية من قولهم: "يشا" من "يشاء":

yaSaaʔu → yaSaa

س ح + س ح ح+ س ح ← س ح + س ح ح

∅ ← س ح

ولعل ابن جني لامس جانباً من الحقيقة، حيث قال في شرح الملوكي في التصريف: (إن الذي سوَّغ الحذف في قولهم: "يا با فلان" أمور منها: ثقل الهمزة وإيثار تخفيفها ومنها طول الكلمة بكونها مضافة، ومنها كون الكلمة كنية، والكنى تجري مجرى الأعلام، والأعلام كثيراً ما يجري فيها التغيير).[٣٦]

ونقول: لقد لامس الرجل جانباً من الحقيقة، ولم يأتِ بها، لاعتبارات:

- إن ما جرى في "يا با فلان" هو ذات ما جرى من حذوف في مواضع الهمز، عامة:

yaa+ ʔa+ baa → yaa+ baa

$$Ø^{\partial}a \rightarrow$$
$$Ø \quad \leftarrow \quad س\ ح$$

فالمتخلص منه، اقتصاداً، هو المقطع /س ح/.

- لا علاقة لما جرى في "يا با" بكونه علماً، فهذا الضرب من الحذف المقطعي، قد وقع في الأعلام وغيرها.
- ليس الحذف في هذا الموقع وغيره حذفاً للهمزة، بل حذف لمقطع لغوي كامل.
- إن الحذف، ثمة، متأتٍ، بسبب هروب الناطق اللغوي من طول الكلمة، أي، هو هروب من توالٍ لمقاطع عدة، قد تكون متشابهة، فيميل الناطق اللغوي إلى كسر هذا التوالي بالتخلص من أحد هذه المقاطع.

تسهيل الهمز:

والحالة، ثمة، وفق ما هو موصوف ليست حذفاً وليست تحقيقاً، بل هي جعل للهمزة بين بين، ومما ورد على ذلك:

- قراءة الحسن والزهري: (والصابيون).[٣٧]
- قراءة أبي جعفر وشيبة:[٣٨] "الصابون" و"الخاطون" و"متكون".
- من ذلك قوله تعالى:[٣٩] "يستهزيون".

أما قراءة الحسن والزهري "والصابيون" بياء غير مهموزة، فعلى قياس قول أبي الحسن في "يستهزئون": يستهزيون بياء غير مهموزة، ويحتمل ذلك فيها لتقدير الهمزة في أصلها، فيكون ذلك فرقاً بينها وبين ياء "يستقضون"، ألا ترى أن أصله: "يستقضيون".

هذا عرض لما تكلم به ابن جني، أما التحليل الصوتي المعاصر لهذه القراءة فتوضحه الكتابة الصوتية على النحو الآتي:

$$Šaabi^{\partial}uun \rightarrow \quad Šaabiyuun$$

إن ما جرى هو، إبدال صوتي محض، فقد أبدلت الياء شبه الحركة بالهمزة، وهو ذاته ما جرى في يستهزيون:

$$Yastahzi^{\partial}uun \rightarrow \quad yastahziyuun$$
$$\partial \rightarrow \quad y$$

أما "الصابون" و"متكون"، فقال فيه ابن جني إنه على إبدال الهمزة، فصارت "كالصابون" من "صبوت"، و"كمتجنون" من "تجنَّيتُ"، والوجه أن يكون الصابيون، بلا همز، تخفيفاً لا بدلاً، وإن جعلته بدلاً مراعى به أوَّلية حاله جاز أيضاً.[٤٠]

والحق أن ما جرى في "الصابون" و"متكون" ليس إبدالاً، بل هو حذف، بدليل ما تمثله الكتابة الصوتية:

Šaabi$^{\partial}$uun → Šaabuun

I^{∂} → ∅

س ح ح+ س ح+ س ح ح س ← س ح ح+ س ح ح س

فالمحذوف، هنا، هو الهمزة وما قبلها من كسر، وهو، كرة أخرى، المقطع: "س ح"، كما هو ملحوظ، أعلاه.

وكذلك، جرى الأمر في "متكون":

muttaki∂uun → muttakuun

$^{\partial}$i → ∅

س ح س+ س ح+ س ح+ س ح ح س ← س ح س+ س ح+ س ح+ س ح ح س

∅ ← س ح

أما قوله تعالى: "يستهزيون" بإخلاص الهمزة في اللفظ ياء لانكسار ما قبلها، وسيبويه يجعلها بين بين على مذهبه في مثل ذلك[٤١] فجرى فيها إبدال لا حذف، كما توضحه الكتابة الصوتية:

Yastahzi$^{\partial}$uun → yastahziyuun

∂ → y

إن ما قدمته هذه الدراسة من تحليل يثبت أن ما جرى في هذه الكلمة "يستهزيون" وأضرابها من مثل: "الصابيون" هو محض إبدال صوتي، أبدلت فيه الياء بالهمزة، وأما ما جرى في "الصابون" و"متكون"، فليس إلا حذفاً، حذف فيه المقطع: "س ح"، وذلك، كله، بخلاف ما قال به ابن جني من أن ما جرى في "الصابون" و"متكون" هو إبدال للهمزة، ومن أن ما جرى في "الصابيون" هو تخفيف لا إبدال.[٤٢] وكرة أخرى، فإن هذا التخالف بين ما قدمه ابن جني وما تطرحه الدراسة من تحليل، إنما ينبع من أن الدراسة نظرت في واقع اللغة المنطوق، في حين، إن ما أتى به أبو الفتح كان نتاجاً للنظر في المكتوب.

فإن ما جرى من تسهيل للهمزة في القراءات الشاذة هو ما جرى من تسهيل لها في القراءات الصحيحة، وذلك من مثل ما جرى في قراءة أبي عمرو:[٤٣]

- يا صالح إيتنا

بتصحيح الياء بعد ضمة الحاء، وهو عند أبي الفتح نظير لقولهم: قيل وبيع، فحمل المنفصل على المتصل... والضمة في "حاء" "يا صالحُ" ضمة بناء، فأشبهت ضمة "قيل" من حيث كانت بناء.[٤٤]

إن ما جرى في "إيتنا" هو ذات ما جرى في "الصابيون"، إذ هو إبدال:

$$^{\partial}i^{\partial}tinaa \rightarrow {}^{\partial}iytinaa$$
$$\partial \rightarrow y$$

وبخلاف ما هو مبسوط، أعلاه، فليس ما جرى مثيلاً لما هو الأمر في: "بيع" و"قيل":

$$buyi^{\partial}a \rightarrow bii^{\partial}a$$
$$uyi \rightarrow ii$$

وعليه، فقد جرى التخلص من الازدواج الحركي، ومطل الكسرة التالية للباء شبه الحركة، تعويضاً عن ذاك الحذف.[٤٥]

ولكنه وهم الكتابة، وحده، هو ما دفع بالأقدمين للنظر لأضراب "بيع" و"قيل" على أنها من نحو "إيتنا".

من جانب آخر، فقد جاءت الشواهد الشعرية حافلة بمثل تلك التسهيلات للهمز، وذلك، نحو ما جاء في قول ابن هَرْمة في كتاب **لسان العرب** لابن منظور، مادة (هدأ):

ليت السباع لنا كانت مجاورةً
وليتنا لا نرى ممن نرى أحداً
إن السباع لتهدا في فرائسها
والناس ليس بهادٍ شرُّهُمُ أبداً

أراد: بهادىءٍ

$$haadi^{\partial}in \rightarrow hadin$$
$$^{\partial}i \rightarrow \varnothing$$
$$\varnothing \leftarrow \text{س ح}$$

وكما هو ملحوظ فقد حذف المقطع "س ح" كرة أخرى.

وهو، أي التسهيل، سجَّل في كلام العرب، كما في قولهم: (أخطيتُ)،[٤٦] و"شوم" بدلاً من (شؤم).[٤٧]

$$^{\partial}axta^{\partial}tu \rightarrow {}^{\partial}axtaytu$$
$$\partial \rightarrow y$$

فالتسهيل، ثمة، إبدال.

وأما في "شوم":

$$Su^{\partial}m \rightarrow Suum$$

$$\partial \rightarrow \varnothing$$
$$u \rightarrow uu$$

وبعد، فإن ما ورد من تكلم على تسهيل للهمز في المحتسب وفي اللغة يمكن له أن يتوزع على محورين:

- ما جاء على نحو من الإبدال.
- ما جاء على نحو من الحذف.

وهما محوران تندرج في إطارهما كل الأمثلة التي جاء بها ابن جني على التسهيل في المحتسب.

الخاتمة:

خلصت الدراسة بعد معاينتها لأمثلة الهمز التي أتى عليها أبو الفتح في المحتسب إلى جملة من النتائج، لعل أظهرها:

١- إن كثيراً مما ورد من أمثلة الهمز، تحقيقاً وحذفاً وتسهيلاً، إنما هو يرتد لأسباب تتعلق بالبنية المقطعية لا الصوتية.

٢- جاءت حالات التحقيق للهمز طلباً للسهولة النطقية والتماساً للجهد الأقل، وذلك هروباً من توالٍ لمقاطع معينة، قد يرى الناطق اللغوي فيها صعوبة إلى توالٍ أكثر سهولة وأقل جهداً.

٣- جاءت حالات الحذف للهمز، حذفاً لمقطع صوتي كامل، لا حذفاً لصوت بعينه.

٤- توزعت حالات التسهيل للهمز بين الحذف والإبدال الصوتي، وجاءت دوافعها في الحالتين مقطعية.

٥- إن نظر ابن جني ومعه اللغويون العرب القدماء إلى الحالات السابقة للهمز شابه بعض الإشكال، لأن النظر كان في المكتوب لا المنطوق، كما تفترض الدراسات الصوتية المعاصرة.

٦- إن كثيراً من حالات الهمز، تحقيقاً وحذفاً وتسهيلاً، إنما وقعت لأسباب اقتصادية لغوية تتمثل في طلب السهولة والجهد الأقل.

هوامش البحث:

[١] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ط١، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار، (القاهرة: لجنة إحياء التراث، ١٩٦٩م)، ج١، ص٣٠٥.

[٢] انظر: السابق نفسه.

[٣] انظر: عمر، أحمد مختار، **دراسة الصوت اللغوي**، ط٣، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٥م)، ص٢٥٦-٢٥٧.

[٤] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ط٤، تحقيق: محمد علي النجار، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠م)، ج٣، ص١٤٧.

[٥] انظر: السابق نفسه، ج٣، ص١٤٦.

[٦] انظر: نفسه، ج٣، ص١٤٥.

[٧] انظر: نفسه، ج٣، ص١٤٩-١٥١.

[٨] انظر: نفسه.

[٩] انظر: نفسه.

[١٠] انظر: نفسه.

[١١] انظر: نفسه.

[١٢] انظر: نفسه.

[١٣] انظر: نفسه، ج٣، ص١٤٦-١٤٧.

[١٤] انظر: نفسه، ج٣، ص١٤٧.

[١٥] انظر: نفسه، ج٣، ص١٤٥.

[١٦] نفسه.

[١٧] نفسه، ج٢، ص١٩.

[١٨] انظر: نفسه.

[١٩] نفسه، ج١، ص١٠١-١٠٢.

[٢٠] نفسه.

[٢١] نفسه، ج١، ص١٠١؛ وانظر: ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش الأسدي، **شرح الملوكي في التصريف**، ط١، تحقيق: فخر الدين قباوة، (حلب: المكتبة العربية، ١٩٧٣م)، ص٣٧١.

[٢٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ج٢، ص١٢٠.

[٢٣] السابق نفسه، ج٢، ص١٢٠-١٢١.

[٢٤] نفسه، ج١، ص١٢١.

[٢٥] نفسه، ج١، ص١٩٤.

[٢٦] نفسه، ج٢، ص١٥٠.

[٢٧] نفسه، ج١، ص٢٧٣.

[٢٨] نفسه، ج١، ص١٨٤.

[٢٩] نفسه، ج٢، ص٢٩.

[٣٠] انظر: نفسه، ج١، ص١٢١.

[٣١] انظر: أبو عيد، محمد، "براجماتية الكتابة العربية: دراسة في اللسانيات الاقتصادية"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة الخرطوم، مج٢٧، ع٢٧، ٢٠٠٩م، ص٦؛ والخولي، محمد علي، **الأصوات اللغوية: النظام الصوتي للغة العربية**، ط١، (عمان: دار الفلاح، ١٩٩٠م)، ص٢٢٤.

[٣٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج٣، ص١٤٣.

[٣٣] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ج٢، ص١٢٠-١٢١.

[٣٤] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج٣، ص١٥٣.

[٣٥] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ج١، ص١٩٤ و١٢١؛ وانظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **سر صناعة الإعراب**، ط١، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٤م)، ج١، ص١٣٣.

[٣٦] ابن يعيش، **شرح الملوكي في التصريف**، ص٣٧٠؛ وانظر: الإشبيلي، ابن عصفور، **الممتع في التصريف**، ط١، تحقيق: فخر الدين قبارة، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٧م)، ج٢، ص٦٢٠.

[٣٧] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ج١، ص٢١٦.

[٣٨] انظر: السابق نفسه، ج١، ص٢١٦-٢١٧.

[٣٩] انظر: السابق نفسه، ج١، ص٣٢٩؛ وانظر: الأخفش، سعيد بن مسعدة، **معاني القرآن**، ط١، تحقيق: فائز فارس، (الكويت: المطبعة العصرية، ١٩٧٩م)، ج١، ص٤٤.

[٤٠] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ج١، ص٢١٦-٢١٧.

[٤١] انظر: السابق نفسه، ج٢، ص٣٢٩؛ وانظر: الأخفش، سعيد بن مسعدة، **معاني القرآن**، ج١، ص٤٤.

[٤٢] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات**، ج١، ص٢١٦-٢١٧.

[٤٣] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج٢، ص٣٥٢.

[٤٤] انظر: السابق نفسه.

[٤٥] انظر: شاهين، عبد الصبور، **المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة للصرف العربي**، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م)، ص١٩٤-١٩٥.

[٤٦] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج٣، ص١٥٤-١٥٥.

[٤٧] ابن يعيش، **شرح الملوكي في التصريف**، ص٣٢٠.

References: **المراجع:**

abū ʿīd, Muḥammad, "Barājamātiyyah al-Kitābah al-ʿarabiyyah: Dirāsah fī al-Lisāniyyāt al-Iqtiṣādiyyah", *Majallah Kulliyyah al-ādāb*, Jāmiʿah al-Khurṭūm, vol.٢٧, no.٢٧, ٢٠٠٩.

al-Akhfash, Saʿīd bin Masʿadah, *Maʿānī al-Qurʾān*, ١st edition, ed. Fāʾiz Fāris, (Kuwait: al-Maṭbaʿah al-ʿaṣriyyah, ١٩٧٩).

al-Ishbīliy, ibn ʿuṣfūr, *al-Mumtiʿ fī al-Taṣrīf*, ١st edition, ed. Fakhr al-Dīn Qubārah, (Beirut: Dār al-Maʿrifah, ١٩٨٧).

al-Khūliy, Muḥammad ʿalī, *al-Aṣwāt al-Lughawiyyah: al-Niẓām al-Ṣawtiy lilughah al-ʿarabiyyah*, ١st edition, (Amman: Dār al-Fallāḥ, ١٩٩٠).

Ibn Jinnī, abū al-Fataḥ ʿuthmān, *al-Khaṣāʾiṣ*, ٤th edition, ed. Muḥammad ʿalī al-Najjār, (Baghdad: Dār al-Shuʾūn al-Thaqāfiyyah al-ʿāmmah, ١٩٩٠).

Ibn Jinnī, abū al-Fataḥ ʿuthmān, *al-Muḥtasib fī Tabyīn Wujūh Shawādh al-Qirāʾāt*, ١st edition, ed. ʿalī al-Najdiy Nāṣif and ʿabd al-Ḥalīm al-Najjār, (Cairo: Lajnah ʾiḥyāʾ al-Turāth, ١٩٦٩).

Ibn Jinnī, abū al-Fataḥ ʿuthmān, *Sirr Ṣināʿah al-Iʿrāb*, ١st edition, ed. Muṣṭafā al-Saqā, Muḥammad al-Zafzāf, ʾibrāhīm Muṣṭafā and ʿabd Allāh Amīn, (Cairo: Maṭbaʿah Muṣṭafā al-Bābī al-Halabiy, ١٩٥٤).

Ibn Yaʿīsh, Yaʿīsh bin ʿalī bin Yaʿīsh al-Asadiy, *Sharḥ al-Mulūkī fī al-Taṣrīf*, ١st edition, ed. Fakhr al-Dīn Qubāwah, (Aleppo: al-Maktabah al-ʿarabiyyah, ١٩٧٣).

Shāhīn, ʿabd al-Ṣabūr, *al-Manhaj al-Ṣawtiy lilbinyah al-ʿarabiyyah: Ruʾyah Jadīdah lilṣarf al-ʿarabiy*, ١st edition, (Beirut: Muʾassasah al-Risālah, ١٩٨٠).

ʿumar, Aḥmad Mukhtār, *Dirāsah al-Ṣawt al-Lughawiy*, ٣rd edition, (Cairo: ʿālam al-Kutub, ١٩٨٥).